

دور المصادر البديلة في إعادة بناء التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للصحراء
"الجزائرية خلال العصرين الوسيط والحديث"

The Role of Alternative Sources in Reconstructing the Social
and Economic History of the Algerian Sahara During the
Medieval and Early Modern Periods

تاريخ النشر: 2026/04/30

تاريخ القبول: 2026/04/25

تاريخ الإرسال: 2026/01/10

بلقايد بنور¹، قاوي محمد²

EMAIL : b.belgaid.sh@lagh-univ.dz، الجزائر، ¹ جامعة الاغواط

orcid.org/0009-0007-2587-6630

EMAIL : m.gaoui@lagh-univ.dz، الجزائر، ² جامعة الاغواط

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان أهمية النوازل الفقهية وأدب الرحلات كمصادر بديلة لإعادة بناء التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للصحراء الجزائرية خلال العصرين الوسيط والحديث، اعتمدت الدراسة على نماذج من النصوص الفقهية والرحلات المحلية والمغربية، وشملت الفترة الممتدة من القرن "13-07هـ"، واعتمدت أداة التحليل النقدي السوسيو-تاريخي للكشف عن مضامين هذه المصادر، وقد توصلت النتائج إلى أن النوازل تترجم تفاصيل الحياة الاقتصادية والاجتماعية من معاملات ونزاعات وعادات، في حين وثقت الرحلات طرق التجارة والمراكز الحضرية وأنماط العيش، الكلمات المفتاحية: النوازل الفقهية، أدب الرحلات، التاريخ الاجتماعي، الصحراء الجزائرية، حاضرة توات.

المؤلف المرسل: بلقايد بنور، الإيميل: b.belgaid.sh@lagh-univ.dz

Abstract:

This study highlights the value of *fiqh nawazil* (legal responsa) and travel literature as alternative sources for reconstructing the social and economic history of the Algerian Sahara during the medieval and modern periods. It draws on selected local and Maghrebi juridical and travel texts dating from the 7th to the 13th centuries AH, using a socio-historical critical approach. The results show that *nawazil* provide detailed insights into economic practices, social relations, and customary norms, while travel accounts document trade networks, urban formations, and patterns of daily life. Combining these sources contributes to uncovering previously overlooked dimensions of Saharan society, with the oasis city of Tuwat serving as an applied case study.

Keywords: *fiqh nawazil*; travel literature; social and economic history; Algerian Sahara; Tuwat.

1. مقدمة:

في مطلع القرن التاسع عشر، عرفت دراسة الظواهر التاريخية تحولاً منهجياً، كسر الطابع التقليدي الذي كان يحصر التاريخ في إنجازات كبار القادة والشخصيات، متجاهلاً الأبعاد الاجتماعية والثقافية للحياة الإنسانية، ومع ظهور علم الأنثروبولوجيا، الذي يعني بدراسة الظواهر الإنسانية دراسة شاملة، وتفرعاته، من بينها الأنثروبولوجيا التاريخية، التي تركز على دراسة التغيرات الاجتماعية والثقافية عبر الزمن، وتبحث في تطور المجتمعات والثقافات تحت تأثير العوامل التاريخية. وقد أسهم عدد من الباحثين الغربيين، مثل إدوارد تايلور "1832-1917"، في ترسيخ هذا الاتجاه، مما فتح المجال أمام الباحثين في التاريخ الاجتماعي والثقافي للاستعانة بمصادر بديلة وغير تقليدية، ومنها كتب النوازل الفقهية، وأدب الرحلة، والخرائط، والآثار المادية.

وتصدر هذا الاتجاه البحثي الجديد عدد من المستشرقين حيث وظفوا هذه المقاربة في دراسة المجتمعات الإسلامية، لخدمة الأهداف الاستعمارية، كما هو الحال في دراسات فقد شكّل عمل روبرت برنشتيكيك حول تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي مرجعاً أساسياً في دراسة البنية السياسية والدينية من القرن 13-15م، اعتماداً على المصادر النوازلية، وفي السياق ذاته تناول روجي جارودي في دراسته للدولة الصنهاجية وبني زيري، مسار السلطة بين القرنين العاشر والثاني عشر، اعتماداً على المادة النوازلية هو الآخر، وقد جاءت أبرز الدراسات الأكاديمية الحديثة في هذا المجال استجابة لهذا التوجه البحثي، حيث ساهم عمر بنميرة من خلال النوازل والمجتمع: في دراسته "تاريخ البادية بالمغرب الوسيط" في كشف العلاقة بين الفقه والواقع الاجتماعي للبادية كما قدّم محمد فتحة في مؤلفه: "النوازل الفقهية والمجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 06-09هـ، مقارنة تجمع بين الفقه والتاريخ الاجتماعي، فيما بعد التفت الباحثون إلى أهمية الكشوفات الجغرافية وأدب الرحلات لتعزيز هذه الرؤية لتؤكد هذه الدراسات مجتمعة أهمية المصادر البديلة في إعادة بناء ملامح المجتمع المغربي عامة والصحراء الجزائرية بصفة خاصة، (إدريس، 1992، صفحة 08)، إضافة إلى كتابات "مارمول كاربخال" في القرن السادس عشر في موضوع الصحراء الجزائرية، وأولت الدراسات الاستشراقية الحديثة اهتماماً معتبراً بالحواضر الصحراوية مثل قورارة، الساورة، ميزاب، توقرت، وبسكرة.

وتُمثّل الصحراء الجزائرية فضاءً جغرافياً وإنسانياً ذا أهمية كبيرة في المحيط المغربي، إلا أن قلة المصادر الرسمية المكتوبة أسهمت في تهميشها ضمن السرديات التاريخية، وأمام هذا النقص، تبرز الحاجة إلى توظيف المصادر البديلة، وعلى رأسها النوازل الفقهية المحلية وأدب الرحلات الجغرافية، فماهي أهمية الاعتماد على المصادر البديلة الموجودة في التراث الصحراوي لإعادة بناء التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لحواضر الصحراء الجزائرية؟ وماهي أهم المصنفات النوازلية والرحلاتية التي يمكن توظيفها؟ وما حدودا لتوظيف التاريخي للمصادر البديلة؟ وكيف يمكن استغلال المصادر البديلة في إطار البحث البيئي؟

واعتمادا على هذا التصور، فإن البحث يهدف إلى تحليل مساهمة هذه المصادر في إعادة بناء التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للصحراء الجزائرية خلال العصرين الوسيط والحديث، من خلال استعراض نماذج منها وعرض بعض القضايا الاجتماعية ودراستها دراسة نقدية مقارنة تراعي السياق الديني والثقافي والسياسي للمصادر البديلة، وصولاً إلى قراءة أكثر دقة وموضوعية للتاريخ الصحراوي.

2. "المصادر البديلة" وأهميتها في الدراسات التاريخية للصحراء الجزائرية

1.2 تعريف المصادر البديلة:

تُشير "المصادر البديلة" إلى مجموعة من الوثائق التي لا تنتمي إلى فئة المصادر التاريخية الرسمية التقليدية، مثل المراسلات الإدارية، وسجلات الأحوال الشخصية، ووثائق المعاملات التجارية، والتي تُعدّ أدوات هامة لفهم الحياة اليومية في حواضر الصحراء الجزائرية (عطاي، 2018-2019). وفي الحقل الأكاديمي، تصنف كل من كتب النوازل الفقهية وأدب الرحلات الجغرافية في قائمة المصادر ذات الأولوية، لما تحتويه من معطيات دقيقة عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية (كراتشكوفسكي، 1957، صفحة 17).

2.2- أهميتها في الدراسات التاريخية للصحراء الجزائرية:

أهميتها نابعة من حاجة الباحثين لإعادة بناء التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والاجابة عن أسئلة ملحة لربط الماضي بالحاضر، إذ تتيح المصادر البديلة الكشف عن طبيعة البنية الاجتماعية، وأنماط العيش، وآليات التبادل التجاري من خلال ادب الرحلات والكشوفات الجغرافية، وأدوار الفتوى والقضاء في تنظيم الحياة اليومية. كما تمكّن من إبراز خصوصيات المجتمع الصحراوي وعلاقاته بالمراكز الحضرية في الشمال وبالسودان الغربي جنوباً، مما يجعلها ركيزة أساسية في فهم الهوية التاريخية للصحراء الجزائرية وإبراز إسهامها في الفضاء المغاربي والإسلامي (الفيلاي، 2001، صفحة 57)، خاصة وان هذه المصادر تتسم بالمصداقية والبعد عن الذاتية مقارنة بالمصادر التاريخية التقليدية

(اللقاني، 2002، الصفحات 336-337)، كما انها تمتلك خاصية الواقعية والتجدد، فبعض الفتاوى القديمة يمكن إعادة استعمالها في مجالات المجتمع والاقتصاد كقضايا المرأة والميراث والمعاملات التجارية والمالية وهذا يعني بان الفقه النوازلي قابل للتجدد وهذه احدي اهم خواصه (لمقدم، 2024، صفحة 189).

3-2- النوازل الفقهية كمصدر للتاريخ الاجتماعي والاقتصادي للصحراء الجزائرية:

تتميّز كتب النوازل، على خلاف الكثير من المصادر، بمصداقية علمية ، نظرًا لالتزام الفقهاء بمنهجية صارمة تقوم على التثبت والتوثيق في عرض المسائل الفقهية والنوازل، ما يمنحها قيمة تاريخية تتجاوز وظيفتها الشرعية و القانونية الظاهرة (مجاد، 2022، صفحة 261)، كما تتيح أدبيات الرحلات . خاصة تلك التي كتبها رحالة مغاربة ومشاركة، مشاهدات مباشرة تصور البنية الحضرية والعمرانية، والتنظيم التجاري، واشكال العلاقات الاجتماعية في المجتمعات الصحراوية (عطايي، 2018-2019، صفحة 62)، وعليه، فإن الاعتماد على هذه المصادر أصبح ضرورة منهجية في إطار التوجه الجديد في الدراسات التاريخية المعاصرة،

3. مفهوم النوازل الفقهية:

1.3 تعريف النوازل الفقهية :

اخذت النوازل الفقهية تعريفات متشعبة لدى الباحثين، من بين تعريفاتها: انها الوقائع الجديدة، التي لم يسبق فيها نص أو اجتهاد، لأنها حادثة لم تعرف في السابق بالشكل الذي حدثت به الآن (القحطاني، 2003، صفحة 86)، وتم تعريفها أيضا بانها: المسائل والوقائع التي تستدعي حكما شرعيا، وهي تشمل جميع الحوادث التي تحتاج إلى فتوى أو اجتهاد، لتبين حكمها الشرعي، سواء كانت متكررة، أم نادرة الحدوث، وسواء أكانت قديمة أم جديدة (القحطاني، 2003، صفحة 91).

وأيضاً تم تعريفها على النحو التالي: قضايا رفعت من مختلف فئات المجتمع، إلى القضاة ورجال الفتوى، وهي عادة ما تذكر القضية كما حدثت بأشخاصها، ووقائعها واسم القاضي أو المفتي الذي رفعت إليه، وأحياناً تاريخ وقوع النازلة، ثم الجواب أو الفتوى حول تلك النازلة، أو المسألة الفقهية (مصطفى، 1997، صفحة 08)، وكذلك من بين تعريفاتها: بأنها ليست فقها مجرداً، يذكر القواعد الشرعية الواردة، في صورها المثالية، بقدر ما هي وصف للوقائع كما وقعت فعلاً، ووصف لتطبيق القانون الإسلامي عليها، في صورته المختلفة، المستندة إلى النص أو إلى الاجتهاد. (شعيب، 1996م، صفحة 388).

وتجدر الإشارة إلى أنه يمكن التمييز بين الفتوى والنازلة من خلال سياق صدورهما وطبيعتهما. فالفتوى قد تكون بشأن مسألة فقهية عامة، أو افتراضية لم تقع بعد، أو واقعة حقيقية في بلد آخر غير بلد المستفتي. أما النازلة، فهي فتوى تصدر لمعالجة حادثة طارئة ومستجدة وقعت فعلاً، وتستلزم اجتهاداً فقهياً يتلاءم مع ظروفها (سرير، 2002م، الصفحات 09-10)..

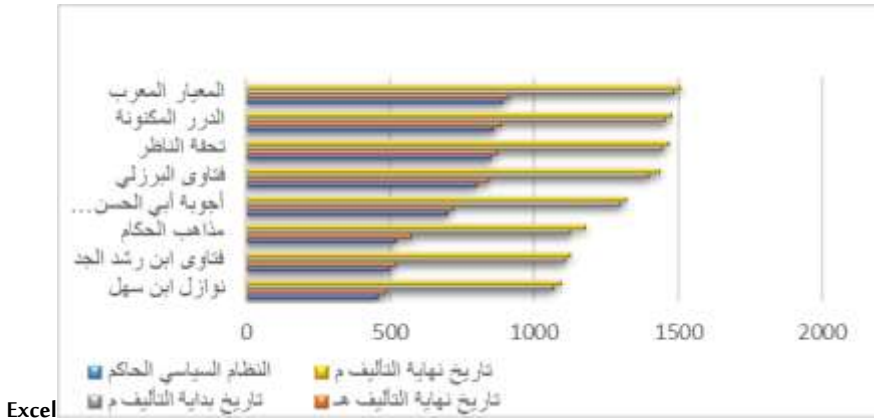
ومما يبرهن على مرونة المذهب المالكي في القضايا الفقهية المستجدة أقوال بعض الفقهاء المتقدمين فقد قال الإمام الشافعي: "فليست تَنْزِلُ بالمسلمين نازلةٌ إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها (الشافعي، 1938، صفحة 20)، ويضيف قائلاً: "باب اجتهاد الرأي على الأصول عند عدم النصوص حين نزول النازلة (القرطبي، 1997م، صفحة 142)، ويوضح ذلك ما نقل عن ابن عابدين: "المسائل التي سُئِلَ عنها المشايخ المجتهدون في المذهب، ولم يجدوا فيها نصّاً، فأفتوا فيها تخريجاً". (الحُسيني، 1966م، صفحة 275)

2.3. مكانة الميراث النوازي التراث المغاربي:

تأتي مكانة التراث النوازي من مكانة المذهب المالكي نفسه حيث تميّز المذهب المالكي بمرونته في التعامل مع الواقع الاجتماعي، خاصة من خلال اعتماده على العادات والأعراف المحلية ما دامت منسجمة مع مقاصد الشريعة الإسلامية، وقد أتاح هذا المبدأ

دمج الخصوصيات الثقافية والاجتماعية للمجتمعات المغاربية في الفقه العملي، مما جعل أحكامه أكثر قربًا من الواقع المعيش، وأكسب النوازل الفقهية قدرةً فريدةً على توثيق العادات والتقاليد ونقل صورة دقيقة للبنية الاجتماعية والاقتصادية للأقطار المغاربية عامة، والصحراء الجزائرية على وجه الخصوص (الهنناتي، 2004م، الصفحات 64- 65) (الجديدي، 1993م، صفحة 16)، ولقد اعتنى علماء المالكية أكثر من غيرهم بالتصنيف في مجال الفتاوى والنوازل، فاشتهر في هذا اللون من التأليف فقهاء أجلاء وصلتنا تصانيف بعضهم،

الشكل 1: باستعمال برنامج: "Excel"،



المصدر: (الاسم العائلي، السنة)

4- الحراك الفقهي في توات خلال القرن 09 الى 13هـ:

1.4- الحركة الفقهية في منطقة توات منذ القرن التاسع الهجري:

إن أغلب الروايات تؤرخ لمرحلة ازدهار الحركة الفقهية اعتبارًا من القرن التاسع الهجري، وهي الفترة التي شهدت وفود عدد من الأئمة والعلماء البارزين إلى حاضرة توات.

حيث أسهموا في تنشيط الدرس الفقهي، من أوائل من قدموا الشيخ "التدلسي (نويهض، 1980م، صفحة 62)" الذي قدم إلى توات سنة 845هـ/1441م، ثم من جاء بعده عدد من الفقهاء من أشهرهم الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي، صاحب التصانيف الفقهية المفيدة والنوازل الشهيرة (الشفشاوني، 1977م، صفحة 130)، وفي نفس الفترة، برز الفقيه عبد الله بن أبي بكر العصنوني، الذي ساهم في إثراء النوازل التواتية من خلال مناقشاته وخلافه المشهور مع المغيلي بشأن نازلة يهود توات، كما شهد الإقليم قدوم الشيخ ميمون بن عمرو الفاسي في القرن التاسع الهجري، الذي يُعد أول من أدخل مصنف مختصر الشيخ خليل إلى المنطقة، وهو العمل الفقهي الذي اعتمده فقهاء توات في التدريس والإفتاء، وبعد مرجعية كتب النوازل التواتية في الاستدلال وصياغة الأحكام. (التمنيطي، 1769م، الصفحات 31-32)

2.4- أشهر علماء منطقة توات:

ومن أشهر العلماء المشتهرين بالفتوى: الشيخ عمر بن عبد القادر أبو حفص التنلاني: "1098- 1152هـ، سافر إلى المغرب لطلب العلم واخذ عن جملة من مشائخها ومنهم: "محمد بن أحمد المسناوي، والحسن بن رجال المعداني، و أحمد بن مبارك السجلماسي وغيرهم، اشتغل مدرسا بجامع القرويين بفاس وبعد حصوله على إجازات عدد من العلماء رجع إلى توات وتصدر التدريس والافتاء (التنلاني، 1739م، صفحة 01 وماعدها)، ولقد اشتهر من عائلة التنلاني كثير من الفقهاء والمدرسين من بينهم الشيخ عبد الرحمان بن عمر أبو زيد التنلاني الذي مارس التدريس والافتاء بإقليم توات اخذ العلم عن أشهر مشائخ توات ومنهم: عمر بن عبد القادر التنلاني، عبد الرحمان بن إبراهيم الجنتوري، عمر بن مصطفى الرقادي الكنتي، سافر إلى المغرب لطلب العلم واخذ عن الشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي، وسافر إلى بلاد التكرور وبعد إجازته من كبار العلماء عاد مفتيا إلى دياره بتوات (الكريم، 2009-2010م، صفحة 51)، (بوتدرة، 2015-2016م، صفحة 191).

5. المؤلفات النوازلية في حاضرة توات:

يمكن تقسيمها الى اقسامين رئيسيين حسب أهميتها، يتعلق القسم الأول بالنوازل المشهورة التي اخرج الكثير منها في رسائل دراسات عليا ولكنها ما زالت مخطوطات غير محققة، والجزء الثاني يتعلق بنوازل فقهية متفرقة ويمكن ان تكون ظرفية وتجيب عن أسئلة ذات طابع شخصي.

1.5. النوازل المشهورة:

1.1.5. نوازل الشيخ المغيلي : 909-1503هـ: النازلة تتعلق بجهود توات وما أثاره نفوذهم السياسي والاجتماعي من ردود فعل لدى الشيخ المغيلي، الذي أصدر فتوى سنة 1442م بتحريم إنشاء "بيع" جديدة وإباحة هدم القائم منها، مع استشارة علماء خارج الإقليم. وقد اشتهرت هذه الفتوى وتناولها الونشريسي في المعيار المعرب، وأسهمت في إثراء الفقه عبر تنشيط المناظرات والاتصالات العلمية بين علماء توات وتلمسان وفاس. كما أبرزت هذه المناقشات المنهجيات والاتجاهات المتباينة، ولا سيما بين مسلك الشيخ المغيلي ومن وافقه، ومسلك الفقيه عبد الله العصنوني وأتباعه (المغيلي و ابن عضوم، 2001م، الصفحات 23-24).

2.1.5. نوازل الشيخ الجنتوري "ت 1160هـ/1747م"، الموسومة بـ "النسرين الفائح النسيم في بعض فتاوى أبي زيد عبد الرحمان بن إبراهيم"، جمعها تلميذه أحمد بن عبد العزيز المسعدي الجراي، وشملت مختلف أبواب الفقه، من النكاح والطلاق إلى البيوع، القراض، المساقاة، العتق، الحدود، الأيمان، القضاء، والشهادات. اعتمد الجنتوري في استنباطه على أمهات المصادر المالكية، وامتازت نوازله بإضافة تنبيهات ضابطة لبعض المسائل، مع إبداء مخالفات صريحة لما جرى به عمل علماء توات في قضايا معينة، مثل مسألة دفع الأرض لمن يحفر ويستخرج الماء مقابل حصة منه، التي رفضها لمخالفتها مذهب مالك، وكذلك اعتراضه على رأي شيخه عمر بن عبد القادر أبو حفص في أولوية صاحب البستان على الخماس المدين، حيث أفتى بالمحاصصة بينه وبين بقية الغرماء.

وتكشف هذه الاعتراضات عن موقف نقدي للجنثوري تجاه الأعراف القضائية والفتاوى السائدة في إقليم توات (بوسعيد، 2011-2012م، صفحة 52).

3.1.5. نوازل محمد بن العالم الزجلاني: تناول مسائل العقائد والعبادات والمعاملات والأحوال الشخصية، جمعه ابنه من أجوبة والده، وضم أيضاً فتاوى معاصريه من كبار علماء توات، مثل الشيخ سيدي عمر بن عبد القادر التلاني وأبي زيد عبد الرحمان بن عمر التلاني، وكلاهما بلغ مرتبة الاجتهاد المذهبي. توجد منه نسخ مختلفة في خزائن توات (جعفري، 2010م، صفحة 331).

4.1.5. نوازل "غنية المقتصد السائل في ما حل بتوات من القضايا والمسائل": للشيخ عبد الرحمان البلبالي "سيد الحاج" وابنه عبد العزيز، وهو أهم مؤلف نوازلي موسوعي في توات من حيث الحجم والمضامين، إذ يعد انتخاباً من سجلات قضاء مجلس الشورى المكوّن من علماء مجتهدين. يتضمن قضايا فقهية واجتماعية واقتصادية (جعفري، 2010م، صفحة 334).

5.1.5. غاية الأماني في أجوبة أبي زيد التلاني: مؤلف للفقيه عبد الرحمان بن عمر التلاني "ت 1189هـ"، يضم مراسلات علمية بينه وبين ابنه محمد، جمعتها الشيخ محمد عبد الكريم بن عبد المالك البلبالي. يشمل المؤلف أبواب العبادات والمعاملات والنكاح، إضافة إلى كتاب جامع لمسائل فقهية متنوعة، وقد اختصره الجامع نفسه إلى: "مسائل ملتقطة من غاية الأماني"، وتتناول فصوله أحكام الطهارة والزكاة، وأحكام الأسرة، وإشكالات ألفاظ الطلاق، والمعاملات المالية كالشركة والصرف، ومسائل الماء (الفقارة)، والحبس، وألفاظ التحبّيس (فزان، 2010-2011م، صفحة 163).

6.1.5. نوازل الشيخ عبد الله بن أبي مدين التمنيطي "ت 1231هـ": جمع فيها فتاوى شيخه محمد بن العالم الزجلاني، والشيخ سيدي الحاج البلبالي صاحب الغنية، وغيرهما من فقهاء عصره ومن سبقهم بقليل، ورتبها الشيخ محمد بن أحمد البدوي البكري. شملت

مختلف أبواب الفقه من الطهارة والصلاة والزكاة والنكاح إلى المعاملات المالية. النسخة محفوظة بخزانة تمنطيط (فزان،، 2010-2011م، صفحة 152).

7.1.5. نوازل الشيخ عبد الكريم البلبالي وابنه محمد عبد الكريم البلبالي "ت 1375هـ/1955م": تمثل نموذجًا تطبيقيًا للدراسة النوازلية، وتضم فتاوى في مسائل شرعية واجتماعية متنوعة (فزان،، 2010-2011م، الصفحات 145-156)، جمعها الشيخ: احمد عبد العزيز علي المهداوي، الشهير بلقب: "عبد العزيز سيد عمر"، وسماها: "الجواهر اللثالي في فتاوى سيدي عبد الكريم البلبالي"

8.1.5. أسئلة الاسقيا "محمد الأول" واجوبة المغيلي: يتعلق المؤلف برسالة أجاب فيها المؤلف على أسئلة سلطان "كانو"، حيث تناول مسائل مرتبطة بقواعد نظام الحكم، وسبل إصلاح المجتمع وتطهيره من العادات المنافية لتعاليم الإسلام. وقد حُقِّقت هذه الرسالة وطُبعت وأصبحت متداولة بين الباحثين (زيادية، 1974م، صفحة 11).

9.1.5. الكشف والبيان عن حكم مجلوب السودان "أو" معراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السود"، هي جواب للفقير أحمد بابا التنبكي "ت 1032هـ" على سؤال وجهه إليه سعيد قدورة الجزائري "ت 1066هـ" أثناء إقامته بتوات. تعالج النازلة حكم استرقاق العبيد القادمين من بلاد السودان الذين ثبت إسلامهم، مع بحث ما إذا كانت هذه البلاد فُتحت عنوة أم صلحًا، وحكم استرقاق مجهولي الحال، ومنهج الصحابة في ذلك، وسبب تخصيص السودان بالاسترقاق (خيرة، وتقوروت، 2021م، الصفحات 167-168).

2.5. نوازل مغمورة متفرقة:

1.2.5. الأحكام والقيد لبعض فتاوى أبي زيد: مجموعة نوازل لعبد الرحمان بن عمر التلاني، جمعها أحد طلبته وهو القاضي عبد الحق البكري التمنطيطي. يضم المؤلف أجوبة الشيخ أبي زيد في مسائل فقهية متنوعة، جمعها الجامع بعد أن تولى القضاء

واستشار أستاذه في قضايا متعددة. المخطوط محفوظ بخزانة البلاليين بملوكة، لكنه مبتور الآخر (قصابوي، 2015-2016م، صفحة 132).

2.2.5. نوازل الشيخ محمد بن أحمد المدعو بابا حيدة: مجموعة فتاوى في الأحكام الشرعية، تعكس اجتهاد المؤلف في معالجة قضايا فقهية متنوعة، لكنها لم تُفصل في المصادر المتاحة (قصابوي، 2015-2016م، صفحة 133).

3.2.5. نوازل "أجوبة محققة النقول مهذبة الفصول لبعض فقهاء بلادنا": جمعها الشيخ محمد بن عبد الرحمان التتلاي بعد أن كانت متفرقة في أماكن متعددة، خشية ضياعها، وتضم فتاوى لعدد من علماء توات البارزين مثل والده عبد الرحمان، والشيخ الجنتوري، وأبو حفص سيدي عمر، والشيخ الحاج محمد البكري. تشمل موضوعاتها العبادات، الأيمان والنذور، الحبس، وأحكام الأسرة من نكاح وميراث (علي، 2014-2015م، صفحة 50).

4.2.5. الكنز الحلال المستفاد من الرجال: للفقيه محمد بن سعيد بن عبد الحق البكري، جمع فيه النوازل التي لم ترد في "الغنية"، مستدرجاً ما فات وجامعاً النوازل المتفرقة، فمثل إضافة كبرى للموروث النوازلي التواتي. توجد نسخة منه في خزانة البكريين بتمنطيط (بكري، 2007، صفحة 210) (التمنطيطي، جوهرة المعاني، 1810م، صفحة 10 ولم يترجم له).

5.2.5. نوازل محلية متنوعة: مجموعة مسائل فقهية متفرقة تناولت موضوعات الأيمان، الوصايا، الأحباس، والمعاملات المائنة المرتبطة بالفقارة، وُجهت إلى الشيخ عبد الرحمان بن عمر ومحمد بن عبد الرحمان البلالي وغيرهما، دون أن تُجمع في مؤلف واحد. النسخة محفوظة بالخزانة الأثرية للزاوية البكرية (قصابوي، 2015-2016م، صفحة 137).

6.2.5. نوازل متفرقة للشيخ أحمد بن مولاي إدريس (مولاي أحمد الطاهري):
قصاصات تحوي مسائل فقهية متنوعة، عُثر عليها بخزانة أبناء الملياني بقصر تيمادين في
منطقة رقان، ولم تُجمع في مصنف شامل (قصابوي، 2015-2016م، صفحة 135).

6. النوازل الفقهية والتاريخ الاجتماعي:

تقدم الإشارة في المقدمة إلى الاتجاه العلمي الجديد الذي يبحث عن مصادر جديدة
لاستغلالها في البحث التاريخي الاجتماعي، وقد كان المستشرقون سبقون إلى اعتماد تلك
المصادر، رغم عدم تمكنهم الكامل من فهم محتوياتها لصعوبة مصطلحاتها الفقهية، كما
أن مادتها التاريخية تحتاج - لاستخراجها - إلى الإحاطة بجوانب عديدة ففهم المصطلحات
الفقهية المعقدة وأحيانا ذات الطابع المحلي هو أول حاجز يصطدم به الباحث في مجال
التاريخ كما أن التوطن الزماني والمكاني للنازلة قد يكون مجهولا في كثير من الأحيان بسبب
غياب أحد أركان الواقعة التاريخية المرتبطة بالنازلة الفقهية، كما يجب الإحاطة بترجمة
المفتي للوصول إلى مفاتيح وظروف الواقعة التاريخية، ويجب أن يكون الاستنتاج حاضرا
فهو يسهل استخراج الأحداث والوقائع التاريخية كالعادات والتقاليد وأنماط العيش إلى
غير ذلك.

1.6. الخصوصية المحلية للنوازل الصحراوية التواتية:

تتسم النوازل الفقهية في الصحراء الجزائرية بخصوصية محلية تعكس تفاعل النص
الشرعي مع الواقع الاجتماعي والبيئي للمنطقة حيث تناولت قضايا مرتبطة بندرة المياه
والمراعي، وتنظيم القوافل وحماية طرق التجارة، ومسائل تتعلق بطرق استغلال الأرض
والماء. وتأثرت الفتاوى الفقهية بالأعراف القبلية والبدوية، فقد حاول الفقهاء إيجاد حلول
تراعي التوازن بين مقتضيات الفقه المالكي والخصوصيات العرفية، وتناولت قضايا
كالبيع والانكحة والاحباس، وفرضت البيئة الصحراوية القاسية، صياغة فتاوى مرنة، مع

توظيف مفردات فقهية مستمدة من الواقع المحلي (الأسمر، 2010م، صفحة 11). في الوقت نفسه، لم تنعزل هذه النوازل عن اجتهادات المراكز العلمية الكبرى، بل تفاعلت معها مع تكييفها بما يلائم حاجات المجتمع الصحراوي.

1.1.6. التنوع والشمولية: فهي لا تخص نوازل الإقليم التواتي أو ما جاوره فقط بل تتعدى ذلك لتعالج قضايا الحواضر الإسلامية المجاورة وبذلك فانها تستمد خصوصيتها من خصوصية الإسلام في شموليته وتنوع، ويشمل التوع جوانب عدة من حيث طبيعة الموضوع وسبب التاليف

2.1.6. الواقعية: وذلك يتناسب طرديا مع الأغراض الرئيسية لمقاصد الشريعة الكبرى فالواقعية تقتضي ان تكون النازلة حقيقية حصلت فعلا وتتوفر فيها كامل شروط النازلة وليست افتراضية، وهذا ما عبر عنه الشاطبي رحمه الله بقوله: "كل مسألة لا يبني عليها عمل فالخوض فيها على خلف الشرع (الشاطبي، 1997م، الصفحات 1-32)"

7. نماذج لمسائل فقهية تحمل ابعادا تاريخية واجتماعية:

وللبرهنة على الموضوع يمكن عرض مجموعة من المسائل النوازلية الفقهية التي تعالج مواضيع اجتماعية متنوعة لعدد من مشايخ حاضرة توات مثالا:

1.7. نموذج لمسائل خلافية حول الأراضي الزراعية والفقارات:

هذه احدى المسائل الفقهية التي يتعلق الامر فيها بنزاع بارض قفارة في قصر "وارجو" بتوات، ذاع صيتها وافتي فيها عدد من شيوخ توات وممن افتو فيها الشيخ: عبد الكريم البلبالي، النازلة تعود الى سنوات 1255 و 1256 هـ / 1839-1840م، حيث اشترى أبناء الشيخ "سيدي علي بن حنيني" ترابا وقفارة معطلة لا تعمل مجهولة الاصحاب، بإذن من قاضي البلدة بطريقة التقويم، بمعنى ان العارفين بأسعار الأراضي والقفارات يقومون السعر، فاصلحوا القفارة واجرو مياهها واستصلحوا الأرض وعرسوا النخيل، وانفقوا أموالا كثيرة لإصلاح الأرض، وفي الأخير ادعى عليهم أولاد بوشنتوف بان الأرض من حقهم،

1.1.7. إجابة الشيخ عبد الكريم البلبالي - رحمه الله - ان هذا البيع يندرج ضمن بيع الشبهة لاعتماد من اشتروا الأرض على عادة كانت دارجة في قصور توات لا تتوافق مع الشرع الإسلامي، فهي عادة البيع بإذن القاضي او الحاكم دون التأكد من وجود أصحاب الأرض الشرعيين من عدمه، وهو ما يجعل البيع من البيوع الفاسدة التي لا تجوز، وقدم الشيخ حلا عمليا لإصلاح الوضع اذا ما تبين فعلا احقية أبناء الشيخ بوشنتوف في ارض القفارة واثبتوا ذلك ببينة شرعية معترف بها، فانهم يدفعون قيمة ما خسره أبناء الشيخ سيدي بن حنيني لاستصلاح الأرض، وان عجزوا عن ذلك لفقرهم فانهم يرضون بارضهم خرابا ويقبلوا بغلة الأرض لابناء سيدي علي بن حنيني (قصبواوي، 2015-2016م، صفحة 307).

2.1.7. التكييف التاريخي والاجتماعي للمسالة: النازلة تكشف عن جانب مهم من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لتوات في ثلاثينيات القرن التاسع عشر حيث ظل نظام القفارات عنصرًا حيويًا في الحياة الزراعية، لكن النزاع يبرز هشاشة الضوابط الشرعية في معاملات الأراضي، نتيجة اعتماد الناس على أعراف محلية "إذن القاضي" دون التحقق من الملكية الأصلية، كما تعكس الواقعة دور العلماء، مثل الشيخ عبد الكريم البلبالي، وفقهاء توات الذين عاصروه، في ضبط المعاملات وإيجاد حلول وسطية تراعي الحق الشرعي وتحفظ مصالح الأطراف، مما يعكس تداخل الفقه مع الواقع المعيشي وإسهامه في تحقيق التوازن بين العرف والشرعية.

2.7. نموذج لمسائل الطلاق والعدة:

من عزم على تطليق زوجته وحين وصل الى الشاهد نصحه بالكف عن الطلاق: نص المسالة ان رجلا طلبت منه زوجته الطلاق فقدم معها الى قاضي البلدة وهو عازم في نفسه على تطليقها، وحين وصل الى القاضي اخبره بما عزم عليه وطلب منه كتابة حكم الطلاق وتسليم نسخة من الحكم الى الزوجة، فنصحه القاضي بالكف عن الطلاق قائلا "امسك زوجتك واخز الشيطان" والسؤال هنا: "هل يقع الطلاق ام يبطل؟ فأجاب الشيخ

عبد الكريم البلبالي رحمه الله " الطلاق لازم نافذ حيث عقد عليه قلبه (قصابوي، 2015-
2016م، صفحة 256)"

1.2.7. التكييف التاريخي والاجتماعي لهذه المسألة: عكست هذه النازلة ملامح النظام الأسري في المجتمع الصحراوي، حيث امتزجت الصرامة الفقهية في المذهب المالكي، الذي يعد النية كافية لوقوع الطلاق، مع الدور الإصلاحي للقاضي كوسيط لتفادي تفكك الأسرة. وتبرز الواقعة التفاعل بين الأعراف المحلية والأحكام الشرعية في فترة مبكرة من الاحتلال الفرنسي، مع بقاء المرجعية الفقهية المالكية الضابط الأساسي للعلاقات الزوجية.

3.7. نموذج لمسألة تتعلق بكراء الأرض مقابل ما تخرجه من غلاتها واخذ الخمس
ثامارا لانقدا:

وهي مسألة فقهية قديمة وقع فيها الخلاف بين السادة المالكية والمشهور فيها عدم الجواز عند الجمهور، ووقع الخلاف في مسألة كراء الأرض مقابل ما تخرجه من غير الطعام كالقطن والعسل ونحو ذلك، حيث يرى بعض الفقهاء جواز ذلك بينما يرى بعضهم منعه مطلقا، وهذه المسألة من المسائل التي خالف فيها مشايخ وفقهاء توات جمهور المالكية وافتو بجوازها، رغم وجود أدلة كثيرة وقوية ترى بعدم جوازها لدرجة ان بعض الفقهاء كتب فيها رسالة كاملة بعنوان "رفع الالتباس في شركة الخماس (التدلاوي، 2012م، الصفحات 01-04)"، وعرضت المسألة على الشيخ فأجاب معتمدا على ما نقله التسولي في "شرح التحفة" عن ابن العربي، الذي أجاز كراء الأرض بجزء من إنتاجها إذا كان هذا الجزء معلوماً، باعتباره مثل أي تصرف في جزء معلوم من المال. ويدعم هذا الجواز ما ذكره بعض العلماء مثل الشعبي وأوصافه، باعتبار أن الناس قد يضطرون إلى ذلك ولا يجدون بديلاً، مما يجعل الفتوى المجيزة مقبولة عند بعض المتأخرين (قصابوي، 2015- 2016م، صفحة 288)

1.3.7. التكيف التاريخي والاجتماعي للمسالة: ومن الأسباب الرئيسية التي جعلت فقهاء توات يخالفون الجمهور في مسالة " الخماس " خصوصية منطقة توات وبعدها الجغرافي عن اغلب حواضر العالم الإسلامي خاصة بعد الاستعمار الأوروبي وتحويل طرق التجارة الرئيسية وقلة الموارد واعتماد توات على لزراعة كمروود أساسي، وبالتالي لا مناص من إقرار هذه المعاملات بين الناس ما دامت مسالة خلافيه لها ادلتها الشرعية المعتمدة.

8. أدب الرحلة كمصدر للتاريخ الاجتماعي والاقتصادي للصحراء الجزائرية:

تمثل نصوص الرحالة: مصدراً غنياً لرصد التحولات الاجتماعية والاقتصادية في الصحراء الجزائرية، إذ تجمع بين الملاحظة الميدانية والتوثيق المباشر للحياة اليومية

1.8. تعريف أدب الرحلة وأهميته كمصدر تاريخي بديل:

أدب الرحلة يُعد من أقدم الفنون السردية التي عرفتها الإنسانية، وقد حظي باهتمام النقاد لما يتسم به من طابع مركّب يجمع بين الأدب والتاريخ والجغرافيا والمعرفة الإنسانية، وتكمن أهميته في كونه وسيلة للتعرف على الأوطان المختلفة والاطلاع على أعلامها ورجال العلم فيها، بما يتيح للرحالة إثراء معارفه وتوسيع آفاقه. وقد أكد ابن خلدون في المقدمة على هذا البعد العلمي، معتبراً أن الرحلة شرط أساسي في طلب العلم، لما توفره من لقاء بالمشايخ واكتساب للفوائد والكمالات العلمية، كما ان العرب قبل الإسلام ارتبطوا بالرحلات بسبب طبيعتهم البدوية حيث جاء في القران الكريم ذكر رحلة الشتاء والصيف التي افتها قريش (قريش، صفحة 602)، كما ان الرحلة تتنوع حسب اغراضها وتأخذ اشكالا عديدة تبعا للهدف الذي يرتحل لأجله صاحبها (روباش، 2014-2015م، صفحة 08) "ومن أهمها: الرحلات العلمية والحجازية والسياحية والجغرافية والتجارية وغيرها، وقد زخرت المكتبات العربية قديما وحديثا بكتب الرحلات بأنواعها ويمكن الإشارة الى أهمها وترتيبها حسب الاقدمية مالتالي:

9. الصحراء الجزائرية في عيون الرحالة وكتابات الجغرافيين:

تشكل كتابات الجغرافيين المسلمين منذ القرن الثالث الهجري مرجعاً أساسياً لدراسة صحراء الجزائر، فقد أسهم ابن حوقل "ت. 367هـ/977م" في رسم صورة دقيقة للصحراء الكبرى من خلال وصف أقاليمها وطرق قوافلها ومواطن سكانها، مستفيداً من أعمال الإصطخري "ت. 346هـ/957م"، وأفادنا اليعقوبي "ت. 284هـ/897م" من خلال كتاب *البلدان* بمعلومات عن بعض الحواضر والواحات المرتبطة بالصحراء مثل وازاكا، وترثينا، وتهرت، وكوار، وورجلان (اليعقوبي، 1979م، الصفحات 56-89). أما البكري "ت. 487هـ/1094م" فوثّق *المسالك والممالك* وأوضاع الطوارق وصلاتهم بغانا، كما وصف الطرق الصحراوية الشرقية نحو ورجلان والغربية المنطلقة من تلمسان وسجلماسة (السويدي، 1986م، صفحة 108).

وفي القرن السادس الهجري قدّم الشريف الإدريسي "ت. 560هـ/1165م" أوصافاً أنثروبولوجية واقتصادية عن سكان الصحراء وطرقها التجارية، خاصة المسار الرابط بين المسيلة وورجلان (الإدريسي، 1983م، الصفحات 68-94). بينما تميّز ابن سعيد المغربي "ت. 685هـ/1286م" بدقة علمية في تحديد التخوم الصحراوية، مقدّماً بيانات جغرافية فلكية حول خطوط الطول والعرض لعدد من مراكزها مثل جبل ميزاب، ورجلان، وبلاد رنغ (المغربي، 1982م، الصفحات 105-110)، وتبرز هذه الأعمال في مجموعها الريادة العلمية للجغرافيين العرب والمسلمين في دراسة الصحراء الكبرى، من حيث جغرافيتها الطبيعية وبنائها العمرانية وأنماط عيش سكانها، قبل ظهور الرحلات الأوروبية بقرون.

أسهم الرحالة المغاربة في توثيق معالم الصحراء الجزائرية من مدن وواحات ومسالك قوافل، حيث لم يقتصر وجودهم فيها على المرور العابر، بل استقر بعضهم شهوراً أو سنوات، مسجلين ملاحظات وإفادات ذات قيمة علمية. ومن أبرز هؤلاء ابن بطوطة الذي قدم شهادات دقيقة عن الصحراء الكبرى، مركّزاً على الواجهة الغربية والجنوب الغربي ولا سيما بلاد الهقار وتوات. وقد أحصى نحو ست نقاط صحراوية، وخصّ الطوارق بذكر

تفصيلي، واصفًا بلادهم بأنها قليلة النبات كثيرة الحجارة وصعبة المسالك (بطوطة"، 1987م، صفحة 542).

أما ابن خلدون فقد أورد إشارات تاريخية عن الهقار وربطها بفروع قبيلة هواره، مبينًا أن الملتئمين هم سكان الفقر وراء الرمال الجنوبية منذ عصور ما قبل الفتح الإسلامي، وأنهم هجروا الأرياف واستوطنوا المجالات الصحراوية (خلدون، 1973م، الصفحات 370-371)، قدّم ابن خلدون معطيات مهمة عن تجارة القوافل عبر الصحراء، مبينًا أن معظم مدن وقرى المغرب الأوسط شاركت في تجهيزها باتجاه السودان، وأن القافلة الواحدة لم يكن يقل عدد جمالها المحمّلة بالبضائع عن اثني عشر ألف جمل، وهو ما يعكس حجم النشاط التجاري الصحراوي (خلدون، 1973م، الصفحات 370-371).

أما الحسن بن محمد الوزان "ليون الإفريقي" فقد زار الصحراء مطلع القرن السادس عشر، وقدم تقسيمًا لها إلى خمسة أقسام كبرى وفق الجماعات الساكنة: الزناتة، الونزقية، الطوارق، اللمتة، البرداوة، مشيرًا إلى تمايز البيئات الطبيعية التي تشكّل فضاءات معيشية لهذه المجموعات. كما خصّ بالذكر مناطق مثل أزواود التي عُرفت بخصوبة نسبية، وتاغازة ذات الهواء المعتدل، في مقابل صحارى عميقة وجافة (الافريقي"، 1983م، الصفحات 40-41).

من جهته، خصّص الرحالة العياشي "صاحب ماء الموائد" صفحات وافية لوصف الجنوب الجزائري، مبرّزًا الطرق الصحراوية، وأحوال السكان، وعاداتهم، إضافة إلى الحياة العلمية والعلماء الذين التقاهم. ورغم استطراداته الكثيرة، فقد مثّلت رحلته مصدرًا غنيًا بالمعلومات الاجتماعية والثقافية، لاقت اهتمامًا بالغًا من المستشرقين (العياشي، 1898م، الصفحات 08-10)، يشير العياشي في رحلته إلى الصحراء الجزائرية، مبرّزًا الدور البارز للزوايا في الحياة الدينية والاجتماعية بالمنطقة، حيث ازدهرت عدة زوايا وتحولت بعضها إلى مراكز عمرانية كعين ماضي وتماسين وطولقة. ومن أبرز هذه الزوايا: زاوية نصاري الخزرجي، زاوية أحمد بن موسى، وزاوية سيدي عبد الله، إضافة إلى زاوية عمر بن

محمد الصالح، التي مثلت مراكز إشعاع ديني وثقافي مؤثرة في المجتمع الصحراوي (العياشي،، 1898م، الصفحات 08-10).

و يضيف لنا الزباني في رحلته *الترجمانة الكبرى* "ق 18م" معلومات جغرافية مختصرة وفهرسة شاملة، ما يجعلها مصدراً موسوعياً مهماً لفهم المجال الصحراوي في المغرب الأوسط (الزباني، 1991م، صفحة 140)، و يعرض وصفاً جغرافياً دقيقاً لمنطقة توات وتخومها الصحراوية، محدداً موقعها بالنسبة إلى جبل درن "الأطلس الصحراوي الكبير"، ومبرزاً غنى المنطقة بالقصور والقرى والواحات المليئة بالنخيل والبساتين والمياه العذبة. كما يشير إلى اتصالها بمجال فجيح وتلمسان عبر شبكة من القصور والعمائر الزراعية (الزباني، 1991م، الصفحات 67-68).

أما ابن الحاج النميري، فقد دَوّن في رحلته *فيض العباب وإفاضة قدامح اللباب*، التي تعود إلى عهد الدولة المرينية في القرن 8هـ/14م، مشاهداته خلال تنقله مع السلطان أبو عنان المريني عبر قسنطينة والزاب وبلاد الزيبان "بسكرة"، وتميزت رحلته بتركيزها على مسالك الصحراء الجزائرية والمغربية، حيث قدّم أوصافاً دقيقة للمدن والقرى والواحات، والقصور والحصون المهدامة، كما أفرد صفحات لتوثيق المظاهر الاجتماعية من عادات وتقاليد واحتفالات وأعياد، فضلاً عن اهتمامه بالبيئة الطبيعية من نباتات وحيوانات ومعالم جغرافية، مما يجعل نصه مصدراً مهماً لدراسة الحياة الصحراوية في عصر بني مرين. (النميري، 1990م، صفحة 17)

تميّزت الرحلات الحجّية التي عبرت شمال الصحراء الجزائرية والمغربية بتوثيقها لعدد من الحواضر والواحات والمسالك. من أبرزها رحلة أبي العباس الدرعي التي انطلقت من وادي درعة نحو المغرب الأوسط، ومَرّت بالأغواط وعين ماضي و بوسمغون والأبيض سيدي الشيخ وبسكرة. سجّل الدرعي ملاحظات دقيقة حول طبيعة هذه المدن، مشيداً بخصوبة أراضيها ومياهها العذبة، ومشيراً إلى نزعة الاستقلال لدى بعض قبائلها، إضافة

إلى كثافة النشاط العلمي ببسكرة وما حولها من مدن مثل طولقة، جمورة، ومتليلي.
(الناصري، 2013م، الصفحات 194-240)

كما تبرز رحلة ابن أبي المحلي السجلماسي "الإصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت
النقرت"، التي سلكت مسارا من فجيج مرورًا بالقرارة، بوسمغون، الشلالة، عين ماضي،
الأغواط، عمورة، سيدي خالد، وصولًا إلى بسكرة. وهو نفس الطريق الذي سارت فيه
رحلات أخرى مثل رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي (1150هـ)، ورحلة ابن الطيب
الفاسي، والرحلة الحجازية للحضيكي السوسي. (السجلماسي، 1627م، صفحة 395)

أما الورتيلاني الجزائري، فقد شكّلت رحلته عبر الصحراء الكبرى تجربة روحية وتعليمية
واستطلاعية، إذ زار العديد من مدن الجنوب الجزائري مثل بسكرة، سيدي عقبة، سيدي
خالد، وطولقة، مسجلاً انطباعات عن عمرائها، علمائها، وأوضاعها الاجتماعية، تُعد رحلة
الورتيلاني من أبرز المصادر عن صحراء الجزائر، إذ تضمنت معلومات غنية من الناحية
الجغرافية، التاريخية، والاجتماعية والسياسية. وقد استفاد صاحبها من رحلة
العياشي، فقدم أوصافاً دقيقة لمحطات ركب الحجاج، ورصد الموارد الاقتصادية
للصحراء، خاصة ما يتعلق بالمياه الجارية في الواحات وغزارتها وعذوبتها، وكثرة نخيلها
وغلاتها (الورتيلاني، 1974 م، صفحة 604).

أما رحلة ابن الدين الغواطي: فقد مثّلت مرجعاً مهماً حول صحراء الجزائر، لاسيما
المناطق الشرقية المتاخمة لليبيا والصحراء الغربية الجنوبية، بما يجعلها من أهم
المصادر الحديثة عن المنطقة (الله، 2011م، صفحة 83)، ويُعد كتاب إبراهيم بن
محمد الساسي العوامر الموسوم بـ/الصروف في تاريخ الصحراء وسوف وثيقة تاريخية
بالغة الأهمية عن صحراء المغرب الأوسط، وبالأخص وادي سوف. فقد فصل المؤلف في
المعلومات التي تتعلق بوصف تضاريسها، وعمرائها، وأشجارها، وطرق عيش أهلها، كما
تناول أنساب القبائل القاطنة فيها، وحركات الاستقرار والانتقال، مثل استيطان قبيلة

طرود. كما رصد علاقات وادي سوف وصلاته بطرابلس وتونس والجزائر، مما يعكس البعد الجغرافي والسياسي للصحراء الكبرى (العوامر، 1977م، صفحة 22).

10- نماذج من القضايا الاجتماعية في كتب الرحلة وتكييفها التاريخي:

على سبيل المثال تذكر بعض مصادر الرحلات مجموعة من السمات التي كان تميز سكان حواضر الصحراء من أمثلتها: الكرم فهو من أبرز السمات الأصيلة في المجتمع الصحراوي، وقد برزت هذه القيمة من خلال استقبال الحجاج وقوافل العابرين بالترحاب والضيافة. فقد وثّق الرحالة مظاهر متعددة لهذا السلوك، مثل استقبال الحجاج في ورقلة وبسكرة وزربية حامد والقنادسة بالولائم والضيافة، إضافة إلى مظاهر الفرح والاحتفال كقرع الطبول. كما أشار ابن الطيب الشرقي إلى ما لقيه الركب من مساعدة وسخاء في الزاب بعد تعرضهم لمخاطر السيول. تعكس هذه الشهادات الدور المحوري للكرم في البنية الاجتماعية والثقافية للصحراء الجزائرية، باعتباره قيمة جامعة وممارسة متجذرة في مختلف مناطقها (العياشي، 1898م، الصفحات 116-117).

10-1- ظاهرة اللصوصية: رصدت الرحلات الحجازية انتشار ظاهرة اللصوصية في الصحراء الجزائرية، والتي ارتبطت أساساً بغياب سلطة قوية وانتشار الفقر. وقد تعرضت قوافل الحجاج للغارات المتكررة من الأعراب، مما دفعها للاستعداد القتالي خلال المسير. ووُصفت بعض المناطق بكثرة السرقات، مثل بسكرة التي عُرفت بكثرة حوادث الاختلاس، بينما شهدت مناطق أخرى أعمال قتل وسلب كما في قرية "إمليلي". كما اشتهرت قبائل معينة بالاعتداء على الركبان، مثل "أولاد عكاز" و"أولاد نصر" في السهوب الشرقية، حتى أن بعض الرحلات سجلت مواجهات مسلحة بين الحجاج وهؤلاء اللصوص (عزيزة وفياض، 2022م، الصفحات 354-356).

التكييف التاريخي للمسألة: تُعدّ ظاهرة اللصوصية في الصحراء الجزائرية خلال العصرين الوسيط والحديث نموذجاً لحالة الاضطراب السياسي والاقتصادي، نتيجة ضعف السلطة المركزية، وانتشار الفقر والبؤس الاجتماعي، وجود حاضنة ملائمة لنشاط

الأعراب وقطاع الطرق. وتشير شهادات الرحالة الحجازيين إلى أن الاعتداء على القوافل لم يكن مجرد ممارسات فردية، بل اتخذ أحياناً طابعاً منظماً، إذ تحولت السرقات إلى مورد اقتصادي لبعض القبائل، بلغت حدّ التعامل معها كتجارة مشروعة. كما يكشف هذا الواقع عن هشاشة البنى الأمنية للدولة، وعن الدور الذي لعبته اللصوصية في عرقلة النشاط الزراعي والتجاري، ما جعلها إحدى الظواهر البنيوية المميزة للمجتمع الصحراوي في ظل غياب سلطة رادعة.

11- التكامل بين النوازل الفقهية وأدب الرحلة في إعادة بناء التاريخ الصحراوي:

يشكّل الجمع بين معطيات النوازل الفقهية وشهادات أدب الرحلة مدخلاً منهجياً متكاملاً لإعادة بناء التاريخ الصحراوي، إذ توفر الأولى مادة توثيقية دقيقة حول الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، بينما تمنح الثانية بعداً وصفيّاً قائماً على المشاهدة المباشرة والتجربة الميدانية، ويسهم هذا التكامل في بلورة صورة أكثر شمولاً وموضوعية عن ماضي الصحراء الجزائرية (بوتشيش، 2015م، صفحة 47)، كما يندرج ضمن توجهات البحوث البينية (نادية، 2021م، صفحة 248) المعاصرة التي تسعى إلى توسيع آفاق المعرفة التاريخية، عبر توظيف مقاربات متعددة تمنح الباحث قدرة أكبر على التحليل واستنباط النتائج بدقة من زوايا مختلفة، وفي هذا الإطار يمكن الاعتماد على المصادر النوازلية والاستعانة في الوقت نفسه بالمصادر الجغرافية وأدب الرحلات ودراسات المستشرقين للوصول إلى رؤية أكثر تكاملاً ووضوحاً بالنسبة للجوانب الاجتماعية في الصحراء الجزائرية في أنماط العيش ولتفاعلات الاجتماعية اليومية.

خاتمة:

هذه الدراسة تثبت أنّ التراث الفقهي النوازلي وأدب الرحلة يمثلان أحد أهم الخصوصيات المميزة للحواضر الصحراوية الجزائرية خلال العصرين الوسيط والحديث، باعتبارهما مصدرين بديلين على درجة عالية من الأهمية في إعادة بناء التاريخ الاجتماعي والثقافي للصحراء الجزائرية، وتبرز حاضرة توات بوصفها نموذجاً غنياً في هذا المجال، لما

تزخر به من مخطوطات ووثائق فقهية ما تزال في معظمها غير محققة، الأمر الذي يفتح آفاقاً واسعة أمام الباحثين لإنتاج دراسات أصيلة ومعقدة.

غير أنّ استثمار هذه المادة العلمية يواجه صعوبات منهجية تتعلق بخصوصية النصوص الفقهية وصعوبة التعامل مع مضامينها، وهو ما يستدعي تكامل الجهود بين المتخصصين في الدراسات الفقهية والمؤرخين حقيقي المخطوطات وتقني الرقمنة، من أجل استثمارها بشكل علمي رصين. كما أن تراكم المخطوطات في خزائن خاصة وعامة دون دراسات نقدية دقيقة أدى إلى بروز إشكالات معرفية، من أبرزها الخلط في أسماء الأعلام والفقهاء، الأمر الذي يستوجب إعادة قراءة شاملة لهذه النصوص وفق مناهج علمية حديثة.

وتؤكد نتائج هذه الدراسة كذلك على ضرورة توسيع دائرة البحث لتشمل جميع الحواضر الصحراوية الجزائرية، وعدم الاكتفاء بحاضرة توات وحدها، قصد بناء رؤية شمولية تعكس تنوع الموروث الفقهي والثقافي في الفضاء الصحراوي. ومن ثمّ، فإنّ إعادة كتابة تاريخ الصحراء الجزائرية لا يمكن أن تتحقق إلا عبر مشروع علمي مؤسساتي واسع النطاق، يستند إلى المصادر البديلة ويستثمر في الكفاءات البحثية متعددة التخصصات.

التوصيات:

- 01-تشجيع إنجاز أطروحات ورسائل جامعية متخصصة في دراسة النوازل والمخطوطات الصحراوية.
- 02-إدماج وحدات تكوينية في مناهج أقسام التاريخ والحضارة حول تحقيق المخطوطات وتوظيفها في البحث التاريخي.
- 03-إنشاء مكتبة وطنية متخصصة في المخطوطات الصحراوية، تكون بمثابة مرجع للباحثين ومنصة وطنية لحفظ هذا التراث وصيانه.

- 04- ضرورة رقمنة المخطوطات النوازلية وإدراجها ضمن قاعدة بيانات وطنية موحدة، تحت إشراف هيئات جامعية ومؤسسات بحثية تابعة لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
- 05- استثمار تقنيات الذكاء الاصطناعي في خدمة المخطوطات، سواء في تسريع عملية الفهرسة أو المساعدة في قراءة النصوص وفك الغموض في أسماء الأعلام.
- 06- إنشاء مشروع مركز وطني للمخطوطات أحد أقطاب المقاولاتية الجامعية، بما يضمن له الاستدامة والفاعلية العلمية.

قائمة المراجع:

- الهادي روجي ادريس، الدولة الصنهاجية: تاريخ إفريقيًا في عهد بني زيري (القرن 10 م – القرن 12 م)، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت. (1992)
- أبي عبد الله محمد بن محمد بن ادريس الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.
- بلعالم عبد السلام الأسمر، اعلام فقه النوازل بمنطقة توات خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، .اسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية ابان العصر الحديث، " 1500-2000م"، الملتقى الوطني الرابع. (p. 11).:الجزائر 2010 م
- الحسن ابن محمد الوزان المعروف ب " ليون الافريقي، وصف افريقيا دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان: 1983م
- أبو علي الحسن بن رجال المعداني. رفع الالتباس عن شركة الخماس، تحقيق: رشيد قباظ، مركز الدراسات والأبحاث وحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، المغرب، ط01، 2012م
- محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنيطي، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، .ادرار، الجزائر.: مخطوط، خزانة الشيخ عبد الله البلبالي، كوسام، 1769م.

محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي جوهرة المعاني، ادرار، الجزائر: خزانة مولاي سليمان بن علي، ادغا، ادرار 1810م

عبد الرحمان بن ادريس التتلاني، الرحلة في طلب العلم، ادرار، الجزائر: مخطوط بخزانة ابن الوليد، قصر با عبد الله. 1739م

عمر الجيدي، مباحث في تاريخ المذهب المالكي، الدار البيضاء، المغرب: دار النجاح الجديدة. 1993م.
الحُسَيني، م. (1966). م. (حاشية رد المختار على الدر المختار، مصر: مطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده.

أبو القاسم الزباني، الترجمانة الكبرى في اخبار المعمور برا وبحرا، الرباط، المغرب: دار المعرفة للنشر والتوزيع. 1991م

احمد ابن ابي المحلي السجلماسي، الاصلية الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت، المملكة المغربية، : الخزانة الحسنية. 1627م.

محمد السويدي، بدو الطوارق بين التغيير والثبات، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. 1986م

إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات، السعودية: دار ابن عفان. 1997م

محمد بن ادريس الشافعي، الرسالة، مصر: محمد الباي الحلبي وأولاده. 1938م

محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، الرباط، المغرب: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977م.

إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تونس: الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1977م.

أبو سالم العياشي، ماء الموائد، اختصارا: رحلة العياشي، فاس، المغرب: فاس. 1998م.

حسن الفيلاي، النوازل الفقهية: قيمتها التشريعية والفكرية، أعمال ندوة "النوازل الفقهية وأثرها في الفتوى والاجتهاد، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب عين الشق : الدار البيضاء، دار المعارف الجديدة، الرباط، 2001م.

مسفر بن علي بن محمد القحطاني، منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة- دراسة تأصيلية تطبيقية. جدة، الرياض،: دار الاندلس الخضراء للنشر والتوزيع. 2003

ابن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله. السعودية: دار ابن الجوزي، 1997م

الكريم ، تحقيق فهرس شيوخ عمر بن عبد القادر التتلائي، .قسنطينة، الجزائر: جامعة منتوري: كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ. 2009-2010م.

إبراهيم اللقاني، منار أصول الفتوى وقواعد الإفتاء بالأقوى، المملكة المغربية،: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2001م.

أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات، رحلات جزائرية، رحلة الاغواطي الحاج ابن الدين، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا. الجزائر: ديوان: المطبوعات الجامعية. 1982م.

محمد ابن عبد الكريم المغيلي، ابن عضوم، رسالتان في اهل الذمة، " مصباح الأرواح في أصول الفلاح، الاعلام بما اغفله الأعوام. "بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية. 2001م.

أبو عبد الله محمد ابن احمد الناصري الدرعي ، الرحلة الناصرية الكبرى، المملكة المغربية: دار ابي رفراف للطباعة والنشر. 2013م.

محمد ابن عبد الله النميري، فيض العباب وافاضة قداح الاداب في الحركة السعدية الى قسنطينة والزاب، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1990م.

نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي الى منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، تونس: دار تير الزمان، 2004م.

احمد بن محمد الورتيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والخبار، اختصار: الرحلة الورتلانية . بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي. 1974م.

احمد ابن إسحاق اليعقوبي، كتاب البلدان. القاهرة، مصر: مكتبة المتنبى. 1979م.

أبو عبد الله الطنجي المعروف ب ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار،
اختصار: رحلة ابن بطوطة، بيروت، لبنان: دار الشرق العربي، 1987م.

عبد الحميد بكري، النبذة في توات واعلامها، من القرن التاسع الهجري الى القرن الرابع عشر، الجزائر:
دار الغرب للنشر والتوزيع، 2007م.

سالم بوتدارة، الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني. سيدي بلعباس، الجزائر: جامعة:
جيلالي اليابس، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ. 2015- 2016م.

احمد القادري بوتشيش، النوازل الفقهية في الاطروحات الجامعية، التوجهات، الاضافات المعرفية،
والاشكالات المنهجية. عصور جديدة، ع: 16- 17. افريل: 2014- 2015م.

احمد بوسعيد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12 هـ، 18
م، ادار، الجزائر: امعة احمد ددرابة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية.
2011- 2012م.

مبارك جعفري، اعلام الفتوى والنوازل بمنطقة توات بالجنوب الغربي الجزائري، بين القرنين 12 و 14
الهجريين، مجلة البحوث والدراسات، ديسمبر 2010م.

عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن
عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني. 1973م.

بن خيرة احمد ، تقرورت عبد الرؤوف , مسالة الرقيق السوداني في بلاد المغرب، ق 10هـ- 16م، محل
مراسلات فقهية بين كل من: سعيدة قدورة الجزائري واحمد بابا التنبكتي. مجلة المعارف
للبحوث والدراسات التاريخية، ديسمبر 2021م.

جميلة روباش، ادب الرحلة في المغرب العربي، بسكرة، الجزائر: جامعة: محمد خيضر، 2014- 2015م.

عبد القادر زبادية، أسئلة الاسقيا واجوبة المغيلي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974م

سرير ، فتاوى النوازل – دراسة نظرية وتطبيقية، "الأحوال الشخصية بين ابن تيمية والونشريسي
نموذجا". الجزائر: جامعة الجزائر، 2002م.

احمد شعيب، أهمية الفتاوى الفقهية في كشف وقائع التجربة الأندلسية- نوازل ابن الحاج القرطبي نموذجاً -الرياض، المملكة العربية السعودية.: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1996م.

معطا الله عزيزة، فياض احمد، اللوصية في الجزائر خلال القرنين 17 و 18، على ضوء الرحلات الحجازية المغربية. مجلة: دراسات تاريخية، 16 افريل 2022م.

عطابي سناء، محاضرات في مقياس: مصادر التاريخ الإسلامي، 2018-2019م.

محمد علي، مسائل محمد بن عبد الرحمان بن عمر التنلاي التواتي، " 1233هـ، ادرار، الجزائر: جامعة: احمد دراية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، 2014-2015م.

زهير فزان .حاضرة توات المالكية، اعلامها، نوازلها، خصائصها، ادرار، الجزائر: جامعة: احمد دراية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، 2010-2011م

سورة قریش، القرآن الكريم ، الايات من 01-04.

عبد الخالق قصابوي، أصول الاستنباط الفقهي في النوازل التواتية، " فتاوى الشيخ عبد الكريم البلبالي - انموذجاً . - ادرار، الجزائر: جامعة: احمد دراية، كلية العلوم الإسلامية، 2015-2016م.

نيكولاي ايفانوفيتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، .موسكو: الإدارة الثقافية في . جامعة الدول العربية، 1957م.

محمد لمقدم، التاصيل الشرعي للنوازل الفقهية عند المالكية وفائدتها في السياق الغربي. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، 2024م

مرتضى عبد الرزاقمجد ، ، كتب النوازل والاحكام مصدرا لدراسة تاريخ المغرب والاندلس ، مجلة لارك، كلية الاداب، جامعة واسط، 2022م.

كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية الاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، الإسكندرية، مصر: مركز الإسكندرية للكتاب، 1997م.

خميس نادية، الدراسات البينية نحو استراتيجية بديلة في البحث العلمي. جلة الاداب والعلوم الانسانية . 2021م

عادل نويهيض، علام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، بيروت، لبنان: مؤسسة نويهيض
الثقافية للتأليف والترجمة والنشر. 1980م

Excel: الجزائر. منحى بياني: الخط الزمني للمؤلفات النوازلية في الغرب الاسلامي. (2025). ب. Excel.